

## كتب بالعربية

طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي:  
مذكرات القائد الشيوعي محمود الأطرش المغربي  
(١٩٠٣ - ١٩٣٩)

ماهر الشريف (إعداد وتحضير)

بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠١٥. ٣٧٢ صفحة.

”على نصفها تقريباً، وتحديداً على ٣١٢ صفحة تغطي، أساساً، المرحلتين الفلسطينية والمشرقية في نشاطه” (ص ٣).  
يغطي الكتاب الذي يقع في ٢٢ فصلاً محطات تاريخية غنية عن فلسطين وبعض دول المشرق العربي. ولعل أهم المحاور هي التي تناولت تأسيس الأحزاب الشيوعية في بعض الأقطار العربية، ولا سيما في لبنان وسورية وفلسطين ومصر. وتأتي أهمية هذه المذكرات من كونها تتيح للقارئ التعرف إلى أوضاع فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، وهي فترة تاريخية كاشفة وأساسية.

**الحزب الشيوعي  
الفلسطيني والثوريون  
اليهود**

وُلد محمود الأطرش المغربي” في القدس في كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٣

تفصيلية عن الظروف المحيطة بأي حدث يرويها صاحبها، والتي قد يواجه كاتبها في المقابل، احتمال الخلط والنسيان.  
تغطي مذكرات محمود الأطرش المغربي الفترة الممتدة خلال سنتي ١٩٠٣ و١٩٣٩. فقد كتب المغربي، الشخصية الشيوعية البارزة في فلسطين والمشرق العربي ودوائر الأهمية الشيوعية، ”مذكراته خلال وجوده في مدينة برلين، واشتملت على أكثر من ٧٠٠ صفحة مكتوبة بخط اليد. وقبل سقوط الجدار، وبعد اتصالات بقيادة الحزب الاشتراكي الموحد في جمهورية ألمانيا الديمقراطية”، حصل الشريف

**تشكل** المذكرات مصدراً من مصادر كتابة التاريخ؛ وعلى الرغم من المحاذير التي من الممكن أن تثيرها في التدوين العلمي للوقائع بسبب طابعها الشخصي، فإنها تحتفظ بجديتها وقدرتها على الكشف عن تفاصيل كثيرة قد تغيب عن المناهج التاريخية ”العلمية”.  
يشير المؤرخ الفلسطيني ماهر الشريف في الكتاب الذي أعدّه وحرره عن المناضل الشيوعي الفلسطيني محمود الأطرش المغربي، إلى نقاط قوة وضعف المذكرات مقارنة بوثائق الأرشيف، ملاحظاً أن في إمكانها تقديم معلومات

العرب واليهود قبل نكبة ١٩٤٨، والتي اتسمت بالطابع السلبي، سارداً الحقائق عن مخاطر المشروع الصهيوني، وكيفية استيلاء الفرق الصهيونية، بمساعدة الشرطة والجيش البريطانيين، على الأراضي الفلسطينية وطرد سكانها الفلاحين، وشراء أراضٍ كثيرة من عائلات ثرية بينها عائلة سرسق اللبنانية المقيمة في بيروت. تناولت المذكرات الظروف التاريخية المواكبة لانتهيار السلطنة العثمانية وبداية نمو الوعي الوطني والقومي لدى الشعوب العربية، والذي تخلله انفجار الثورات التحريرية في العراق ومصر وسورية بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠. وعن ثورة تموز/ يوليو ١٩٢٠ السورية يقول المغربي: "وثارت الجماهير العاملة في سورية في وجه الاحتلال الفرنسي في تموز/ يوليو ١٩٢٠، على الرغم من استسلام الزعماء القوميين من كبار الملاك والتجار والأمرء، وعلى رأسهم فيصل بن الحسين، وقاومت

معطيات جديدة عن تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني، وخصوصاً لجهة دور الثوريين اليهود الذين قدموا إلى فلسطين في إطار الهجرات الصهيونية، والذين شكلوا النواة الأولى للحزب، باسم حزب العمال الاشتراكي. ويتحدث المغربي في مذكراته عن الإجراءات المتخذة في مسيرة تعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي أعلن قيامه رسمياً في ٩ تموز/ يوليو ١٩٢٣.

### مخاطر الصهيونية والثورات التحريرية

لم تقتصر المذكرات على الطابع النضالي والسياسي، بل إنها تضعنا أيضاً في العالم الخاص لصاحبها في أثناء الطفولة والمراهقة، وما كابدته من ظروف شظف العيش. يتمثل الجانب الخفي الذي يُطلعنا عليه المغربي في تظهير نمط الحياة الاجتماعية السائدة في فلسطين خلال تلك الفترة التاريخية، كما يسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين

من أبوين عاملين هاجرا من الجزائر إلى فلسطين. أتم دراسته الابتدائية في يافا، واضطر إلى ترك دراسته الإعدادية في سنة ١٩١٧ للعمل في قطاع البناء. وبعد تعرّفه إلى الشيوعيين اليهود، انضم إلى منظمة الشبيبة الشيوعية وأصبح، في سنة ١٩٢٦، سكرتيراً لفرعها في مدينة يافا، وسعى مع شبان آخرين لتنظيم نقابات لعمال البناء والمرفأ فيها. وفي سنة ١٩٢٧ أوفدته قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى موسكو للدراسة في الجامعة الشيوعية لكادحي الشرق، حيث أمضى ثلاثة أعوام عاد بعدها إلى فلسطين ليساهم، في إطار خطة التعريب، في قيادة الحزب، إذ انتخبه مؤتمره السابع الذي عُقد أواخر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٠، عضواً في سكرتاريا لجنته المركزية... كان الأطرش ممثلاً للأحزاب الشيوعية في الدول العربية لدى اللجنة التنفيذية للكومنترن، وقد سُجن واعتقل عدة مرات (ص ١ - ٢). يحتوي الكتاب على

من دون استعداد وبشجاعة أسطورية جيش الاحتلال الفرنسي، على الرغم من تفوقه عليها بالعدد والأعتد. واستشهد في آخر معركة دارت في ميسلون، دفاعاً عن دمشق، فريق من الشبان الثوريين السوريين الذين استهوتهم ثورة أكتوبر [تشرين الأول] الاشتراكية ومبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها التي نادى بها، بينهم يوسف العظمة، وزير الدفاع في حكومة فيصل، الذي كان يدعو إلى الاتحاد مع الثوار الأتراك، أعداء الأمس، ضد الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين، أصدقاء الأمس" (ص 64 - 65).

### العمل السري خلال الثورة الجزائرية

غطت المذكرات أحداثاً تاريخية في عدة دول عربية، فلم تقتصر على تاريخ فلسطين السياسي

والاجتماعي خلال ٣٦ عاماً. ويوثق الكتاب الحراك السياسي والصراعات الحزبية والمصالح الضيقة لبعض الزعماء السياسيين في سورية ولبنان والعراق في حقبة ما قبل الاستقلالات الوطنية، كما أنه يحيطنا بالأجواء الإقليمية والدولية المواكبة لهذه المرحلة التاريخية وتأثيرها في قضايا عربية بارزة. بعد مغادرته موسكو متجهاً من مرفأ مرسيليا إلى الجزائر، انتقل المغربي إلى العمل السري خلال الثورة الجزائرية في الفترة ١٩٥٤ - ١٩٦٢، واعتقل في سنة ١٩٥٩ وسُجن في معتقلي بني مسوس ودويرة. وكان محرراً لصحيفة "الثورة والعمل" لسان حال الاتحاد العام للثقات، خلال سنة ١٩٦٧ حتى آذار/مارس ١٩٦٨، أي الشهر الذي غادر فيه الجزائر إلى ألمانيا حيث كتب مذكراته في برلين، ثم

عاد إلى الجزائر، ووافته المنية في برلين في سنة ١٩٧٨.

أغنى ماهر الشريف الكتاب بالحواشي المتضمنة شروحات وتعقيبات وتعريفاً بالشخصيات والأحداث، علماً بأن كتب المذكرات والسير الذاتية تُعد من المراجع الغنية التي يؤخذ بها، نظراً إلى فائدتها في باب دراسة الحركات الاجتماعية والسياسية، مع ضرورة تعامل المتخصصين والمؤرخين معها بدقة وتمحيص.

يبقى من المفيد استكمال الجزء الثاني من أوراق المذكرات التي تركها محمود الأطرش المغربي بغية التعرف إلى الفترة الزمنية الممتدة من سنة ١٩٣٩ حتى سنة ١٩٧٨؛ وهي فترة شهدت تحولات تاريخية كبرى عربياً ودولياً.

ريتا فرج

كاتبة وباحثة لبنانية